الف ليلة وليلة
تاريخ حياتها (١)

« المحاضرة الاولى »

يخطو الدهر دائبًا في وناء و كبرياء وصمت ، فيعفو الاثر . ويفري الحجر . ويبري الحديد ، وتنال يده العابثة كل شيء في حياة المرء بالتغيير والنقص ، الا شيئًا واحداً يلوذ منه بسواد القلب فيستقر في قراره ، ويكمن كمون السر في دخيلته وإضماره ، أريد به ذكريات الصبى ، واحلام الحداثة ، فهي باقية والجسم يتخونه البِلى ، ثابتة والعيش تزعزعه الاحداث ، ناضرة والمنى يصوّحها اليأس ، مشرقة والنفس يغشاها من الهمّ ظلام وسحب ، فمن منكم ياسادة لا يذكر اول بيت أبصر فيه الوجود ، واول ملعب عرف فيه الرفيق ، واول مكتب رأى فيه المعلم ، واول موعد لاقى فيه الحبيب ؟؟ ومن منكم لا يذكر ساعات السمر اللذيذة الهادئة ، في غرفة النوم الوثيرة الدافئة ، حيث كان أطفال الأسرة يتجمعون حول الجدّة الحنون . اوالأم الرؤم . اوالظئر الحانية ، فينصتون في سكون وشوق الى ماتقصه عليهم من روائع الأسمار . وبدائع الأقاصيص ، وهم من طلاوة الحديث وجاذبية الحادث وبشاشة المحدّث في حال لا يصف الشعور بها غير الشاعر ، ثم لا يلبث هذا الرحيق العجيب ان يخدر الاعصاب الطفلية الرقيقة ، فتغفو تحت جناح الكرى ، وتسمع بقية الحديث الشهي في الحلم !

هذه الاقاصيص الشائقة التي كانت لعقولنا الصغيرة سحرا ، ولعواطفنا المشبوبة سكرا ،

---

(١) محاضرة للعلامة السيد احمد حسن الزيات عضو المجمع العلمي العربي أُلقيت باسمه في ردهة المحاضرات في ٢٦ شباط سنة ١٩٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقلوبنا الغضة فتنة ، هي نوع من الاحلام والاماني تراءت في ليل الحياة الطويل ، ثم تجمعت في ذاكرة الزمن القديم ، وتنقلت من عهد الى عهد ، ومن مهد الى مهد ، ومن بلد الى بلد ، تحمل في طواياها نفحات الحكمة المشرقية العالية ، وعطور الازمُن البعيدة السعيدة . فوجودها أثر لوجود الانسان ، لانها ظاهرة طبيعية من ظواهره : كالغناء والشعر والرقص فلا تعرف لها أولية . ولا تحدَّد في الغالب لظهورها علة . ولكن علماء الاساطير يزعمون أنها نشأت في الهند ، وهاجرت منها الى بلاد الفرس ، ثم رحلت الى بلاد العرب ، ثم استقر بها النوى في أقطار الغرب ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تصطبغ بصبغة البيئة ، وتتأثر بخصائص الجنس ، وتتسم بسمات العقيدة .

وأما أبطالها الذين وُجدوا على الرغم من قانون الوجود ، ونازعوا أبطال التاريخ ثوب الخلود ، فقد كان لبعضهم ولا شك حظ من الحياة ، وشهرة بملازمة الاسفار وملابسة الغير ، فتحدث الناس اولاً بما فعلوا ثم سرَّجوا حول أسمائهم وأنبائهم الاكاذيب والاعاجيب حتى أصبحوا أعلاماً على شخصيات متميزة في البطولة والحرب والحب والحيلة والكرم : كدعد وليلى في الشعر وابي نواس وجحا في التنادر .

أما أكثر الابطال فمن خلق الخيال ، ابتدعهم رموزاً للمثل الاعلى ، او القدر العابث او الجد العاثر ، او السلطان الجائر ، او الهوى المتسلط ، او الامل الآسي ، او الحظ السعيد .

وعلى ذكر الطفولة ومناغيات الامومة أراكم ولاريب تركتموني أتكلم وعدتم بالذاكرة الى تلك العهود الحبيبة تتخيلون سحرها ، وتستعيدون ذكرها ، وتصيخون الى ذلك الصوت الحنون ، ينبعث خافتاً من أعماق الماضي القريب او البعيد ، مردداً أسماء اولئك الابطال الذين طالما اكتأبتم لاكتئابهم ، وتألمتم لمصابهم ، وشاركتموهم بالعطف في نعماء الحب ، وبأساء الحرب ، ولأواء الخطب : من أمثال حسن البصري ، ونورالدين المصري ، والشاطر محمد ، والشاطر حسن ، الى آخر ما سجلته الذاكرة ...

انا كذلك يا سادتي ذكرت حين كتبت هذه السطور — هاتيك القبور التي ضمت هواي . ورفقة صباي ، ونوعاً من الحنان والاخلاص لم أذق له طعماً منذ غاض في هوة البلى منبعه ... ثم ذكرت شيئاً آخر : ذكرت مجلى من مجالي الأُنس في القاهرة كان جمعة القلوب ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وألفة النفوس ، ومستجم الخواطر ، فعصفت به روح المدنية الحديثة ، ذلك منظر المحدث اوالقصاص اوالمسامر اوالشاعر في مقهى الحي وهو في حلته الشرقية المفوّفة الضافية ، فوق صفته الخشبية البالية العالية ، وقدتجمع بين يديه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، أوزاع العامة ، وشيوخ المحلة يستجمّون من كلال العمل اليومي برشف القهوة العربية ، وتدخين النرجيلة العجمية ، وتبادل العواطف الاخوية ، ثم الإصغاء المشترك الى (ابي درويش) وهو يقص بصوته العريض المتئد ، وجرسه الهاديء المتزن — حروب (عنترة) او وقائع (ابي زيد) اومخاطر (ابن ذي يزن) فينقلهم بقوة تمثيله اوبحسن ترتيله ، على جناح الخيال — الى عصور هؤلاء الابطال ، فيشهدهم مجد البطولة وسلطان الحب وفتك السحر وبطش المردة . ثم يرى الحديث أن فورة الحماسة اوالشوق قدطغت في النفوس لوقوع البطل في أسر اوشدة ، فيسكت ليجمع النقوط من السمار والنظار . فلا يجدُ هؤلاء مندوحة عن تعجيله ليعجل هو الى إطلاق البطل من إساره ، وإنقاذ الجمهور من شدة قلقه ومرارة انتظاره ...

وفي ليلة من هذه الليالي الساهرة تجدون هذه القهوة ذات الضوء الشاحب ، والصمت الحالم ، والمنظر الكئيب — قد خفقت فوقها الرايات ، وأشرقت في جوها الثريات ، وتلألأت في سمائها المصابيح ، وأخذت زخرفها بالسامرين ، وقد جلسوا متقابلين على الدكك العالية يطوف عليهم غلمان باكواب من ذوب السكر المعطّر بماء الورد ، وصاحبنا المحدث قدخرج الى القوم يتهادى في عمته المكوّرة وجبته المعصفرة وقفطانه الانيق الاصفر . وقد تدلت من حزامه الحريري ذلاذل تنوس على بطنه المنتفخ الضخم . فاذا استوى على عرشه المنجّد — توهج البخور من جانب وتضوعت العطور من جانب ثم خشعت الاصوات ورنت اليه العيون وأنشأ يحدث . فاذا بدا لاحد ان يسأل بعض الجالسين عن سبب هذا المهرجان عجب اولاً من انه لا يعرفه ، ثم أجابه بلهجة الفخور المزهو : هذه ليلة زفاف عبلة الى عنترة ... فاذا كانت القصة قصة بني هلال — وجدتم هذا الهوى الجميع قد استحال الى عصبية شنيعة . ورأيتم إخوان الامس قد أصبحوا أعداء اليوم : فطائفة تتعصب لبني هلال . وطائفة تتعصب لبني زناتة . وهؤلاء يريدون الشاعر على ان يقص واقعة . واولئك يسألونه ان يقص اخرى ، والشاعر لا يجيب الا من يجزل له العطاء . فاذا رجحت كفة وشالت كفة أخذ يروي من ذاكرته وغيبه — على هوى الفئة الغالبة مالم يسجله تاريخ . ولم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يدونه كتاب : فيزور الغرائب ، ويختلق الوقائع ، ويقتبس مما خزنه في حافظته — من مختلف الاسمار ورقائق الاشعار ليحوك منها للبطل حلة تهز العجب في قلوب أشياعه ، وتلهب الغيرة في صدور خصومه ، فإما نفحة أخرى تميل به الى الجهة الثانية ، وإما معركة بين الحزبين تكون هي القاضية .

هذا الرجل الذي صورته لكم هذه الصورة المتقاربة ، هذا الرجل الذي ينام النهار ويجلس الليل يحدث اربع ساعات متعاقبة ، هذا الرجل الفكه اللبق الحافظ الواعظ — هو الاثر التاريخي والنموذج الحقيقي ، لذلك القصاص البارع الذي خلّف لنا كتابنا العالمي الخالد (الف ليلة وليلة) .

يرجع تاريخ هذا القصاص ياسادة الى صدر الإسلام ، والفضل في وجوده كان أيضاً للقرآن الكريم . فقد اشتمل كما تعلمون على مجملات من أخبار القرون الخالية والنذر الاولى ، وكان أعلم القوم يومئذ بتفصيلها — من أسلم من أهل الكتاب كتميم الداري ووهب بن منبه . وكعب الاحبار وعبدالله بن سلام : فكان هؤلاء ومن أخذ عنهم يجلسون الى الناس في المساجد ، يفصلون ما في كتاب الله من قصص الانبياء ، ويسرفون في تهويل هذه الانباء ، ابتغاء للعبرة ، والتماساً للموعظة ، ووافق هذا الضرب من الوعظ هوى النفوس فازداد إقبال الناس عليه ، وكثر إفك القصاص فيه ، حتى طردهم امير المؤمنين علي من المساجد ، ما خلا الحسن البصري .

ولكن دهاة السياسة رأوا سلطان هذا الفن على العقول وقوة أثره في توجيه الميول — فاتخذوه لساناً للدعاية وسبيلاً لافتعال الاحاديث . واختلاق الاقاصيص في الاغراض الحزبية المختلفة . بدأ بذلك معاوية فولى رجلاً على القصص كان اذا صلى الصبح جلس يذكر الله ورسوله ، ثم يدعو للخليفة وحزبه ، ويدعو على أهل خصومته وحربه . وكان هو اذا انفتل من صلاة الفجر جلس الى القاص حتى يفرغ من قصصه ، وكان ولاته وقواده يقدمون القُصاص في بعض حروبهم ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء وما وعدوا به من حسن الجزاء . فعل ذلك الحجاج في العراق ، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق . فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة (٧٧) أن عتّاب بن ورقاء سار في أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقص عليهم . ثم قال : اين القصاص ؟ فلم يجبه احد . فقال : اين من يروي شعر عنترة؟ فلم يجبه احد .

وسار الشعر والقصص في ركاب السياسة جنباً الى جنب يشبهان على الناس وجوه الرشد، ويموّهان على العقول صور الباطل ، والقصاص كانوا في ذلك أشدّ وطأة على الحق : لانهم ينسبون ما يفترون الى التاريخ اوالى الدين . فلما هدأت ثائرة الاحزاب ، وسكنت طائرة الفتن ، ونضجت العقول — عاد القصاص الى المسجد ، فوجد الواعظ قد غلبه على مكانه ، والعالم قد فطن الى كذبه وبهتانه ، والخليفة قد استغنى عنه بروايته وندمائه ، فانقلب الى العامة يسامرهم في أملائهم وأعراسهم بما أثر من ايام العرب ونقل من أساطير العجم ، وروي من أخبار الفتوح .

وانتشر القُصاص في العواصم العربية حتى صاروا ظاهرةً من ظواهر اجتماعها ، وحاجةً من حاجات عامتها ورعاعها ، واشتدت هذه الحاجة حين انفجرت الدواهي على العالم الاسلامي في أواخر العصر العباسي وبعده : من عنف المتسلطين من السلاجقة ، وعسف المتغلبين من المغول ، وغزو المتعصبين من الفرنك ، فطلبهم العامة تفريجاً للكرب ، والخاصة تشجيعاً على الحرب ، ولكنهم كانوا في مصر أبرع صناعة ، وأنفق بضاعة ، وأرفع مكانة ، لان طبيعة إقليمها ، ونظام اجتماعها ، وطباع سكانها كانت تعين على ذلك : فهي قطر زراعي ملموم الرقعة ، متصل العمارة ، يجود بالخير الكثير ، على الجهد القليل ، فكان لذلك أهله قليلي الاسفار يؤمنون بكل خبر ، كثيري البطالة يميلون الى اللهو والسمر ، وكانوا لا ينفكون بين يسر متدفق طلق — اذا عم الفيضان ، وعدل السلطان ، واقتصد الموت وعسر متجهم كزّ — اذا فحش الغلاء ، وألحّ الوباء ، وبغى الحاكم . وعلى الحالين كان السامر اوالمسامر عنصرين من عناصر الحياة ينفّران بهجة العيش في الرخاء ، ويسرّيان كربة النفس في الشدة .

وكان اول من تولى القصص الرسمي في مصر سليمان بن عنتر التجيبي سنة ٣٨ تولاه مع القضاء ثم أُفرد به ، ثم تعاقبت القصّاص من بعده في مصر على اختلاف بينهم في القدرة والغرض ، فكانوا أصداءً للعقيدة ، وأبواقاً للسياسة ، تسمع منهم في كل عهد لهجة ، ولكل دولة سنداً وحجة . وترون ذلك أقوى ظهوراً في عهد الفاطميين . فقد كان (يعقوب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن كلّس) وزير المعز يعتمد على المناظرات في نشر فقه الشيعة ، وعلى القصص في جذب القلوب لاهل البيت . وكان مقتل الامام (علي) ومأساة الامام (الحسين) موضوع المنابر والسوامر في شهري رمضان والمحرم .

وقيل ان ربيةً حدثت في قصر (العزيز بالله) فتناقلتها الافواه ورددتها الاندية فطلب الى شيخ القصاص يومئذ [يوسف بن اسماعيل[1]] ان يلهي الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنترة ونشرها تباعاً في اثنين وسبعين جزءاً سمرت بها مجالس القاهرة منذ ذلك الحين الى اليوم وهي اليانعة العرب لا ينازعها هذا الشرف الى الآن عمل فني آخر .

وفي القرن الرابع للهجرة كانت فورة هذا الفن ونهضته في بغداد والقاهرة . ففي عهدي (المقتدر بالله العباسي) و (العزيز بالله الفاطمي) كان القصاص الحكوميون والشعبيون يحتشدون لوضع الاخبار ، ويتنافسون في جمع الاسمار ، من الوراقين والرحالين والعامة .

ولكن القصص في العراق كان من عمل الكتاب ، يصورون فيه أنبل عواطف الناس ، وأجمل مواقف الحياة ، ويلقونه زهوراً وعطوراً في مجالس الخلفاء ، وسوامر الملوك ، فكانت بلاغة المحدث وجلالة السامع ونبالة الموضوع تطبع القصة بطابع الجمال والاعتدال والقصر ، وتنزع بها الى السليقة الغربية المجبولة على الايجاز والقصد في الشعر والخطب والرسائل والقصص .

فما جمعه ووضعه (الجهشياري) و (ابن دلان) و (ابن العطار) في القرن الرابع من الاقاصيص في الحب الطروب ، والترف المسرف ، وماوضعه من قبل هؤلاء (سهل بن هرون) و (علي بن داود) و (أبان بن عبد الحميد) من الاسمار في الامثال الرمزية والحكمة العالية والسياسة الرشيدة ، وماصنعه من قبل هؤلاء (عيسى بن دأب) و (هشام الكلبي) و (الهيثم بن عدي) من الاخبار في الهوى العذري والسخاء العربي في الاسلام والجاهلية — كل اولئك موسوم بسمة العقلية العربية الخالصة من حذف الفضول وترك الاستطراد وقلة المبالغة .

(١) وقيل انه الشاعر الطبيب ابو المؤيد محمد بن الصائغ الجزري . وممن قال بهذا الرأي الاستاذ كوسين برسيفال الذي طبع لهذه السيرة ملخصاً في باريس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما القصص في مصر فكان غالباً من عمل القصاصين والمسامرين ، يلفقونه من الكتب ، ويتلقفونه من الافواه ، ويحدثون به الدهماء في المجالس العامة . ورزق هؤلاء القصاص على قدر ماعندهم من القصص . فاذا ما انقطع احدهم عن الحديث لنضوب معينه انقطعت به أسباب العيش ، فهم لذلك مضطرون الى تطويل الموضوع بالاستطراد ، وبسط الحادث بالتزيد ، وجذب القلوب بالإغراب والمبالغة .

ومن ثم اتخذ الادب القصصي في مصر شكلاً لا عهد للادب العربي به . ذلك هو شكل القصة بالمعنى الذي نفهمه من كلمة رومان (Roman) في اصطلاح الفرنك ، فان المعروف الشائع من قبل — إنما كان المثل (Fable) والأقصوصة (Conte) والحكاية (nouvelle) وهذه الانواع قد تولد بعضها من بعض على نحو مايرى الاستاذ (برونتير) الناقد الفرنسي من تطبيق مذهب (دارون) على الانواع الادبية ، فالأقصوصة نشأت من المثل ، والحكاية نشأت من الأقصوصة ، والقصة نشأت من الحكاية ، باتساع الخيال ، وفعل المبالغة ، وحكم الزمن . ولكن القصة العربية قد تأخر نشوءها الى القرن الرابع حتى ظهرت بمصر ، لان عملها يقتضي التطويل والتحليل والعلم بطبائع الناس وأوصاف الشعوب ، والعرب في عهودهم الاولى كانوا أبعد بطبيعتهم ومعيشتهم عن هذه الامور ، ثم كانوا في عصور التحضر والاستقرار يؤثرون الخاصة بادبهم فيضطرون في حضرة الملوك ان يراعوا أدب الحديث فلا يغرقون في الحادث حتى يجانب العقل ، ولا يسهبون في السمر حتى يجاوز المجلس ، ولا يسفون في القول حتى يصادم الخلق ، اما القصاص المصري فقد تهيأت له الاسباب اللازمة لخلق القصة : كان سمير الاوزاع والعامة فلم يتقيد معهم بقوانين الخُلق ، ولا بقضايا المنطق ولا بوقائع التاريخ ، فهو يصطنع اللهجة الصريحة ، ويستعمل الالفاظ القبيحة ، ويبالغ في الخلط والتلفيق ، قصداً الى الإغراب والتشويق ، ويعتمد غالباً على المفاجآت القوية ، ويستطرد كثيراً الى الحوادث العرَضية ، ثم يصادم الوقائع ويشوه الحقائق ، لانه يجهلها ، والجمهور الذي يسمعه لا يعلمها ، فاستطاع بذلك ان يزور أغرب الحوادث ، ويجمع شتى الاحاديث ، ويترك لنا هذه المجموعة القصصية التي كانت ولا تزال للخاصة مبعث لذة ، وللعامة مصدر ثقافة .

كان القصاص المصري يعتمد في مادته على مايصدر عن بغداد من الاقاصيص الموضوعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمنقولة ، والروايات القديمة الصحيحة والمدخولة ، ثم يضيف الى ذلك ما تنوقل في مصر وما تجمع من الاخبار من التجار والرحالين والبحارين ، فقد كان هؤلاء بعد عودتهم من البلدان النازحة يدونون ما راوا من الاعاجيب ، كما فعل اليعقوبي وابن فضلان وبزُرك بن شهريار مثلاً ، إذ يحدثون بها الناس كأن يقولوا لهم ما حكاه ابن خرداذبة من ان في بعض الامم رجالاً عراض الوجوه ، سود الجلود ، لا تزيد قامة أطولهم على اربعة أشبار ، وفي جلودهم نقط حمر وصفر وبيض ، وإن فيهم من له أجنحة يطير بها ، ومن رأسه كرأس الكلب ، وجسمه كجسم الثور او الاسد ، وما جاء في كتاب (المستطرف) من ان في (البلغار) من طوله اكثر من ثلاثين ذراعاً ، يأخذ الفارس تحت إبطه ، كما تأخذ الطفل الصغير ، ويكسر ساقه بيده كما تقطع حزمة البقل . وما رأى الرحالون بالطبع هذه الاشياء ، وانما رأوا صورها على الآثار التي خلفها البابليون والفراعنة والرومان والفرس فظنوها حقيقة .

كان القصاص يتناول هذه الاخلاط فيؤلف منها قصة كثيرة الفصول والفضول ، تدور حوادثها على بطل واحد ، ولكنها تعرض من قبيل الاستطراد الى حوادث شتى ، لا يصلها بحياة البطل الا صلة واهية . انظروا مثلاً كيف صنع قصة (عنترة) : بناها على حادثة أصلية صحيحة : هي (حرب داحس والغبراء) التي شبت لظاها بين عبس وذبيان قبيل الاسلام . ثم دارت رحاها على قطب من أقطابها وهو (عنترة بن شداد) العبسي ، فذكر نشأته في حادثة خرافية جذابة ، ثم وصف رجولته وبطولته وفصاحته وحبه وكرمه ، وما اتصل بذلك من عادات البدو ، كالضيافة والحماسة والإجارة والشعر والغزو والسلب والثأر ، ولكن حروب عبس وذبيان مهما هوّل فيها وطول لا تشغل بال السامعين طويلا ، ولا تدرُّ عليه من المال كثيراً ، فهو يوقع الخصومة بين عنترة وبين فرسان العرب فيقابلهم ويقاتلهم ويسلمهم جميعاً بالنكول والعجز . والقصاص في اثناء ذلك ينقلنا في السهول والاودية ، ويقلبنا بين المضارب والاخبية ، حتى جلا لنا من الحياة الجاهلية صورة صادقة لا تتمثل في خواطركم من طريق التاريخ المقتضب المفكك الا بعد جهد . ثم يرى مع ذلك ان الشوق شديد ، وان الامد الذي يريده بعيد ، فيخرج البطل من الجزيرة العربية ويقدمه الى مصر بلد القصاص فيقود عنترة بها جيوشاً ، ويهلك شعوباً ، ويبتني حصوناً لا تزال العامة تعرفها الى اليوم باسمه ، ثم يذهب الى القسطنطينية ويزوجه من امرأة رومية . حتى اذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ظفرت المنون اخيراً بالشجاعة الخارقة عاد ابنه من (بيزنطة) الى الحجاز فطالب بعرش ابيه وحارب معاديه ومغتصبيه ، والميتة التي اختارها القصاص لعنترة تدل على قدرة فنية عجيبة ، وكان (لامرتين) لا ينفك بها معجبا ، ومنها طروبا ، فقد ذكر أن (الاسد الرهيص) احد خصوم (عنترة) المقهورين الموتورين رماه غيلةً بسهم مريش مسموم ، فلما أحس البطل فعل الموت في جسمه الوثيق خشي على قومه من بعده شرّ الهزيمة وعار الفشل ، فوقف حيال العدو الثائر ممتطياً جواده ، متكئاً على رمحه ، وأمر جيشه بالتقهقر والنجاة . فارتد الجيش وبقي هو واقفاً يعالج سكرات الموت ، والعدو متحفز للهجوم ، ولكنه لا يجرؤ عليه خوفاً من عنترة حتى فاضت روحه على صهوة جواده ، وكان الجيش المتقهقر قد بلغ مأمنه ، فلما طال وقوفه ، وجاوز الحد سكونه ، ارتاب الجيش المهاجم ، فدبر الحيلة لكشف الامر فأرسلوا الى جواده حجراً نهيجه ، فلم يكد يراها الفرس حتى وثب وثبةً خرّ لها فارسه على الارض صريعاً .

والغالب فيما أظن ان القصاص الماهر قد اخذ هذا الختام البارع من مصرع (سليمان بن داود) أمام عماله المسخرين من الجن ، وقد أجملته البلاغة المعجزة في هذه الآية الكريمة « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته . فلما خرّ تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

ظهرت هذه القصة الحماسية الجميلة في عصر كان وادي النيل فيه منيع الحوزة ، باهر الجلالة ، صافي المورد ، لا يكدره والغ ولا واغل : فكان استقلاله يلهم العزة ، وعروبته توحي الشهامة . فلما هبت الاعاصير الهوج بالبربرية الجامحة ، فأطفأت منائر بغداد ، وزعزعت عرش الخلافة ، وعبثت العجمة الجاهلة بتراث العرب : من علم وادب ، وخلق ودين ، وعدت ذئاب الغرب باسم الصليب على الشام ومصر ، تثلج الهلال الآفل ، وتنهش المجد الطريد — رأينا القصة المصرية تصور هذه الحياة الحزينة تصويراً عجيباً . ورأينا القصاص قد اتسع خياله ، بقدر ما ضاق علمه ، فهو يخلق بلاداً لم توجد ، ويتصور حوادث لم تقع ، ويعتمد في العمل على الجن والسحر والخوارق .

فبين القرنين السادس والثامن من الهجرة — ظهرت في مصر سلسلة من القصص الطويلة الجذابة غفلاً من أسماء مؤلفيها : لان القصاص المحترفين إنما كتبوها لانفسهم فيما أرجح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم توارثوها خلفاً عن سلف حتى بلغت عهد المطبعة ، فنُشرت على شكلها ، دون اسم ولا وسم ولا تعريف .

وأشهر قصص هـذا الدور سيف بن ذي يزن ، والاميرة ذات الهمة ، وفيروز شاه ، فأما أنها كتبت في هذي العهود فذلك واضح لادنى نظر من لغتها وأسلوبها وما تدور عليه من عادات واعتقادات وصور ، وأما أنها كتبت بمصر فذلك ثابت من أماكن وقائعها ، واسماء اشخاصها ، فأبطالها جميعاً عاشوا بمصر ، حتى الذين لم يروها أقدموهم اليها ...

فالمهلهل بن ربيعة كان الوجه البحري ميدان حروبه ، وسيف بن ذي يزن هو الذي اجرى النيل من جبال القمر بكتابه السحري الذي دفنه في جزيرة الروضة بالقاهرة ، وهو الذي خطط مدن مصر ، فالجيزة اسم من أسماء زوجاته ، وسبك الثلاث ودمنهور الوحش قائدان من قواده ، والنيل تفرع الى فرعي رشيد ودمياط : لان الملك (سيفاً) وهو قادم به من السودان وقف بقاتل الكفار الذين اعترضوه في رأس الدلتا فوقف النيل بوقوفه ، ولكن الماء وراءه قد عب عبابه وطفحت أواذيه فاندفق شطر منه الى الشمال . واتجه الملك بالشطر الآخر الى اليمين .

ومدينة (سمنود) أصلها سماء نود لان الحكيم (نودا) صاحبها قد عقد عليها سماءً بالسحر توقعاً لغارات الملك سيف وهو ذاهب بالنيل الى مصبه . ثم دفنه المؤلف أخيراً فوق جبل المقطم ، وقال ان قبره هو الذي يعرف الآن بالجيوشي .

ولقد كان للحروب الصليبية أثر ظاهر في نسج هذه القصص في هذا الدور ، فان العواطف الدينية والحماسة القومية التي ألهبتها في قلوب المسلمين هذه الغارات قد حملت القصاص على ان يتملق هذه العواطف ويغذيها بما يلفق من الاشعار والاخبار في فضائل الجهاد والاستشهاد والصدق والصبر .

فسيف بن ذي يزن كان حنيفاً مسلماً يقتحم المعاقل والأرصاد على الوثنية والشرك في معالم الارض ومجاهلها ، وهو يقول : « لااله الا الله إبراهيم خليل الله » . وكذلك سائر الابطال في سائر القصص ، الا انهم كانوا بعد الاسلام لا قبله .

وبين القرنين الثامن والعاشر للهجرة كان حكم المماليك بفساده ، وحكم الاتراك باستبداده ، قد أتيا على ما بقي من ار كان الاجتماع ، وحللا أواصر الاخلاق والطباع ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومُني الناس بإلحاح الأوباء ، وشراهة الجباة والرؤساء ، واستشعرت نفوسهم ذل الحرمان والقهر ، فأخلدوا الى التصوف اوالى المجون ، وعالجوا همومهم بالحشيش والافيون ، وحارب بعضهم بعضاً بالشطارة والحيلة ، وتقاتلوا على حطام الحياة بالخديعة والغيلة ، وحال نظام الفتوة في مصر الى مناسر من اللصوص والعيارين ، يقطعون متون السبل ، ويعبثون بالامن والناس من ضعف السلطان يخضعون لهؤلاء ويجلونهم إجلال الزعماء ويتناقلون حوادثهم وأحاديثهم بالإعجاب والمبالغة فظهر حينئذ ذلك القصص الوضيع النسيج يمثل هذه الحال بحقارتها وسفالتها ، ويصور تلك البيئة بخرافاتها وجهالتها ، كالقصص الذي يدور على (علي الزيبق) و (احمد الدنف) و (حسن شومان) و (دليلة المحتالة) او (دالة المحتالة) كما يسميها (المسعودي) . وأصبح أسلوب القصاص في هذا الدور دائراً بين الجهالة والقحة . فهو يستعمل في قصصه لغةً مبتذلة وتراكيب فاحشة وجملاً محفوظة ووقائع واحدة يرددها في كل قصة . ويكررها في كل مناسبة . وكانت شهوة السهر والسمر قد بلغت مداها في ذلك الحين لتغلب البطالة على أهل القاهرة واعتماد الناس في جمع الثروة على الحيلة والشعوذة والسحر والتقدر . فتكدس في السوامر حول القصاص وقد تجمع لهؤلاء من خلال القرون ذخيرة وفيرة من الاساطير والاسمار . فهبوا يدونونها كما دونت تلك السير من قبل . فكان مما دون في تلك الحقبة الغريبة كتابنا وموضوع محاضرتنا (الف ليلة وليلة) .

(الف ليلة وليلة) ياسادة كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته ، وتراءت من خلاله ميوله ونزعاته ، وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته ، فهو كالشعب وكل شيء للشعب . قد لقي من جفوة الخاصة وترفُّع العلية أذىً طويلا ، أغفله الادب فلم يتحدث عنه ، واحتقره الادباء فلم يبحثوا فيه ، وراه (محمد بن اسحق المعروف بابن النديم) فقال إنه غثٌ بارد ، لانه نظر اليه نظره الى الادب الارستقراطي الذي يصور ترف الخيال وجمال الصناعة . فلما حقق العصر الحديث تغلُّب الديمقراطية وسيادة الشعوب ، واستتبع ذلك عناية أصحاب المذهب الإبداعي (الرومانتكيين) في الغرب بحياة السوقة والدهماء عنايتهم بحياة الملوك والنبلاء وهبَّ رواد الاستعمار وعشاق الآثار ينقبون عن (فولكلور[1]) الشرق اخذ أدباؤنا يحكم

(١) فولكلور (Folklore) كلمة انكليزية يراد بها في الادب الاوربي — مجموع التقاليد والاساطير والاشعار الشعبية لأُمة من الامم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التقليد والعدوى — يعطفون على أدب السواد ، فدونوا اللغة العاميـة ، وجمعوا الأغاني الشعبية ، ونظروا بعض النظر في فن القصص ، وسمعوا في رجفة من الدهش — الى قول الاوربيين : ان في أدبنا الموروث كنزاً دفيناً — من هذا النوع له في أدبهم أثر قوي وشأن نابه . ولكنهم لم يخلدوا بدياً الى هذا القول بثقة . واستكثروا على هذا الكتاب الخرافي السوقي ان يذكر في الكتب ويوضع في المكاتب وينبه الناس الى فضله ، ويهنأ العرب بانتاجه حتى رأينا بعيوننا انه نقل منذ أوائل القرن الثامن عشر الى كل لغة . وحل الموقع الاول من كل أدب ، وظفر بإعجاب النوابغ من كل أمة . حتى قال (فولتير) انه لم يزاول فن القصص الا بعد ان قرأ الف ليلة وليلة اربع عشرة مرة ، وتمنى القصصيُّ الفرنسي (استندال) ان يمحو الله من ذاكرته (الف ليلة وليلة) حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته .

ثم قرأنا أن أقلام المستشرقين اخذت تتجادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في اصله ، وتكشف عن مناحي جماله وفضله ، وان دوائر المعارف الكبرى سجلته في حقولها ، وخصته بالطريف الممتع من فصولها . وان الاستاذ (فكتور شوفان) أفرد له في كتابه (تاريخ المؤلفات العربيـة) جزءين سرد فيهما مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته ، وجزءين آخرين خص فيهما طائفـة كبيرة من حكاياته ، وان الكتّاب الروائيين قد استغلوه للسينما والمسرح فاستخرجوا للاول رواية (لص بغداد) وللثاني (قسمت) او (القضاء والقدر) ، وان رجال التربية والتعليم في فرنسا والمانيا وانكلترا — قد اقتبسوا منه أدباً للاطفال فاختصروه وصوروه ، ولقيتُ انا منذ عامين في القاهرة مستشرقاً اسبانياً وآخر اميركياً قـد أرسلتْ الاول جامعته . والثاني جمعيته ، لينقبا في مدن الشرق عن مخطوطات (الف ليلة وليلة) .

حينئذ أخذت خاصتنا تقرؤه وتسمعه ، ومطابعنا الراقية تصححه وتطبعـه ، وأدباؤنا المترفعون يشيرون اليه في تاريخ الادب . ولكنهم الى اليوم لم يدرسوه دراسةً علمية تكشف عن لبابه ، وتستقطر النطف العذاب من عبابه ، وهو على الرغم من جميع مافيه ، قد سجل على توالي القرون أطوار اجتماعنا ، وصوّر بالألوان الزاهية مختلف أخلاقنا وطباعنا ، ونشر في الشرق والغرب أنوار حضارتنا وازدهار ثقافتنا وجمال تقاليدنا ، وأتم نقص التاريخ الذي تجاهل الشعب . والأدب الذي احتقر العامة . فكان منه للناقد الاجتماعي والمؤرخ الفيلسوف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاديب الباحث والكاتب القصصي — منهل ثر الينابيع ، صافي المورد . وهو — فضلاً عن ذلك — كان للشعب العربي في زمن انحلاله ، وضياع استقلاله ، وصعوبة اتصاله — قبس يبعث الحرارة في النفوس الخامدة ، وذكرى تلوع القلوب أسيً على المجد الذاهب ، وصلة ثقافية تجمع المنازع المتفرقة على الوحدة .

يكاد يكون (الف ليلة وليلة) علماً ثانياً على بغداد ، بل ربما كان أدلّ عليها اليوم في نظر الشعوب الحديثة من شأنها الرفيع في الحضارة ، ومكانها البارز في التاريخ : ذلك لأن آثارها المادية قد ألح عليها طغيان الدهر وفيضان النهر حتى محواها . اما هي في هذا الكتاب فلا يزال سناها باهياً لم يخبُ ، وصداها داوياً لم ينقطع ، فهو للحضارة العربية في (بغداد) متحف زاخر بالاعاجيب ، دونه ما للحضارة الفرعونية في مصر من معابد ومقابر وكنوز ، لانه يسير في البلاد وهي ثابتة ، ويتحدث الى جميع الشعوب وهي صامتة ، حتى أصبح لفظ (بغداد) في جميع اللغات مرادفاً للعمران الزاهر ، والترف العجيب — واسم الرشيد رمزاً للعدل الشامل والزمن الخصيب . ذكر احد كتاب الانكليز فترة من الزمن الرخي فقال : كان ذلك في العصر الذهبي إذ كان يحكم الخليفة العادل هرون الرشيد .

ذلك بعض فضل الكتاب على (بغداد) . وقد ذكرت من قبل أنه لم يُؤلف على هذه الصورة فيها ، ولم يؤلفه احد من بنيها ، وانما جمع في مجالس القصص في القاهرة ، ودون على هذا الشكل في القاهرة ، وطبع اول طبعة كاملة في مطبعة الحكومة بالقاهرة . ثم كان حظ القاهرة من كتاب (الف ليلة وليلة) ان صوّرها للناس مثابةً للاحتيال والشطارة والشعوذة والجهل بينما يصور (بغداد) مهبطاً للفضل ، وموطناً للنبل ، ومعدناً للكرم ، وعشاً للحب ومظهراً للترف ، حتى كان من جرّاء ذلك ان اهل (بغداد) لا يزالون يقولون (عياق مصر وحيال مصر) ونحن ما زلنا نقول في القاهرة : تبغدد فلان اذا أظهر البغددة . وهي كلمة مشتقة من (بغداد) تدل على السرف والترف والبطر والنبل !

وسبب اختلاف حظ البلدين من الكتاب ان القصاص المصري اذا تحدث عن مصر — وهو منها وفيها — تحدث عما يرى ، وعبر عما يسمع ، وقد عشنا في اي عهد من عهود الضعف والانحلال ظهر هذا الكتاب بمصر . اما اذا تكلم عن بغداد فإنما يتأثر بعوامل اربعة : يتأثر بما وُضع من الاقاصيص الجميلة في بغداد — ويتأثر بما ملأ الآذان وشغل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاذهان عن عظمة بغداد وأبهة الخلافة — ويتأثر بما ركّب الله في طباع الناس من تقديس الماضي ، وتعظيم البعيد — ويتأثر بجهله أحداث التاريخ وتطور الامم ، فيأبى وهو في القرن العاشر من الهجرة ان يعترف بموت (الرشيد) ، ومصرع (بغداد) ونكبة المجد الأثيل .

اما بعد فاني أحاول الآن ياسادتي ان أكشف عن حقيقة (الف ليلة وليلة) بمقدار ماتهيأت لي المراجع في (بغداد) ، بعد ان توفرتُ على قراءته ودراسته في مختلف الطبعات ، ووقفتُ على ماتشرعنه من الابحاث في بعض اللغات . وما أريد بالطبع ان أدفع السأم في نفوسكم بذكر مالايحتمله المقام من التحليل المفصل ، وانما أجتزيء بذكر مالا يسع الرجل المثقف جهله من امر هذا الكتاب .

وهنا يدركنا المساء كما يدرك شهر زاد الصباح ، فنرجيء البقية الى الاسبوع المقبل اذا تفضلتم بالسماح .

احمد حسن الزيات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

—(())—

« المحاضرة الثانية »

ليس من اليسير على الباحث الكشف عن حقيقة كتاب كألف ليلة وليلة أصله مفقود ، ومؤلفه مجهول ، وزمان وضعه مبهم ، ومكان حوادثه مشتبه ، لاننا اذا فزعنا الى التاريخ نسأله قال : إن ما يتصل بالأقاصيص والأساطير كان خارجاً بطبيعته عن اختصاص الاديب ومنهاج المؤرخ ، واذا رجعنا الى نص الكتاب ندرسه لنتبين من لغته وأسلوبه وأسماء أبطاله ومواطن رجاله وعقائد أهله — نصيب كل جنس وجيل في تكوينه وجدناه من هذه الجهة ضعيف الحجة خادع الرأي قليل الغناء ، لان كثيراً من النساخين والقصاصين في البلاد المختلفة قد اعتوروه فنقلوه على وفق لهجاتهم ، وعبثوا به على مقتضى شهواتهم ، حتى لاتجد نسختين منه تتفقان لا في الترتيب ولا في النص . ففي حكاية البنات مع الحمال والصعاليك الثلاثة مثلاً يقول الصعلوك الثاني : انه قرأ القرآن بالروايات السبع وحفظ الشاطبية ، والشاطبية في علم القراآت كالألفية في علم النحو ، وفي بعض النسخ لايذكر الشاطبية ويكتفي بذكر الروايات السبع . فلو ان ذكر الشاطبية كان عاماً في جميع النسخ لحكمنا بان هذه الحكاية كتبت بعد سنة ٥٩٠ وهي السنة التي توفي فيها الشاطبي . وفي حكاية مزين بغداد يذكر المزين الفيلسوف سنة ٧٦٣ في نسخة وسنة ٦٥٣ في نسخة أخرى ، فعلى اي الرقمين نعتمد في تاريخ هذه الحكاية ؟ إذن لم يبق للباحث غير الاعتماد على النقد المبني على تاريخ الحضارات المقارن وعلى مابقي في الكتاب من صور الاساليب ورسوم التقاليد التي لم يشوهها الناسخ ولم يعف عليها الزمن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان أول من ذكر الف ليلة من المؤرخين علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ في كتابه مروج الذهب فقد قال حين عرض لأخبار إرم ذات العماد « ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب من الملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية (وفي رواية أُخرى الفلهوية بدل الهندية) مثل كتاب هزار أفسانه ، وتفسير ذلك بالفارسية خرافة ويقال لها (أفسانه) . والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهرزاد ودنيا زاد » ثم جاء بعده محمد بن اسحق المعروف بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ فقال في الفهرست: « اول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن الفرس الاول ، ثم أغرق في ذلك ملوك الاشفانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه ، فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار أفسانه ومعناه الف خرافة .

وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد ، فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك علي استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها الف ليلة .... رُزقت في اثنائها منه ولداً أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها ، وكان للملك قهرمانة يقال لها دنيا زاد فكانت موافقة لها على ذلك . وقد قيل ان هذا الكتاب أُلف لحميا ابنة بهمن » .

ثم قال ابن النديم في موضع آخر : « والصحيح ان شاء الله ان اول من سمر بالليل الاسكندر وكان له قوم يضحكونه ويُخرّفونه لا يريد بذلك اللذة وانما كان يريد الحفظ والحرس ، واستعمل لذلك بعده الملوك هزار افسانه ويحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر لان السمر ربما حدث به في عدة ليال . وقد رأيته بتمامه دفعات ، وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث » .

فالرجلان كما ترون متفقان على ان الكتاب منقول عن هزار افسانه الفارسي وانه موضوع في خبر الملك والجاريتين شهرزاد ودنيازاد وان اسمه في عصرهما كان الف ليلة لا الف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليلة وليلة « ولاعبرة بمجيء اسم الكتاب كاملاً في الطبعة الحديثة المصرية لمروج الذهب فان ذلك من زيادة المصحح » . ويختلفان في نسب البنت والجارية فيقول المسعودي ان شهرزاد بنت الوزير ودنيازاد جاريتها وهو الصحيح ، ويقول ابن النديم ان شهرزاد من أولاد الملوك وان دنيازاد قهرمانة الملك ، ويزيد ان الكتاب يحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر وانه أُلف لحميا أو همياً أو حماني أو حمانة أو خماني على اختلاف الروايات وهي بنت الملك بهمن بن اسفنديار .

هاتان هما الوثيقتان الخطيرتان في تاريخ هذا الكتاب ولا يوجد غيرهما فيما نشر علينا من كتب مؤرخينا القدماء اللهم الا إشارة الى وثيقة ثالثة مفقودة نقل عنها المقريزي في الخطط والمقري في نفح الطيب وعزواها لمؤرخ مصري اسمه القرطي الف كتاباً في تاريخ مصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي ذكر فيه الف ليلة وليلة وقايس بين قصصه وبين ما يتداوله الناس في عصره من الحكايات المشهورة . وفي هذا دليل على ان الكتاب على أي صورة من الصور كان معروفاً في مصر على عهد الفاطميين ، وان اسمه كان إذ ذاك الف ليلة وليلة ، وان عنصراً من القصص العربي قد دخل في هيكله . ثم تجاهله بعدئذ أدباؤنا ومؤرخونا فلم يحققوا مصدره ، ولم يسجلوا نموه وتطوره ، حتى جاء رأس المستشرقين البارون سلفستر دساسي ، فبدأ البحث العلمي في أصله بمقالين نشرهما في جريدة العلماء Journal des savants أولهما في سنة ١٨١٧ والآخر بعده باحدى عشرة سنة . وجملة رأيه أن الكتاب تأليف جماعة لا تأليف واحد ، وانه مؤلف في العهد الاخير ، وانه عربي الوضع من فاتحته الى خاتمته ، ودفع قول المسعودي ان فيه عناصر أجنبية من الهندية أو الفارسية . فناقش أدلته قوم آخرون أشهرهم الاستاذ (يوسف فون هامر) الالماني فقد نشر في سنة ١٨١٩ مقالاً في احدى المجلات الالمانية ، وفي سنة ١٨٢٣ مقالاً آخر في المجلة الاسيوية أيد فيهما رأي المسعودي تأييداً لا سبيل عليه لآخذ . وفي سنة ١٨٣٩ ترجم الاستاذ (وليم لين) الانجليزي قسماً من الف ليلة وليلة وقدم له مقدمة حاول ان يثبت فيها ان الكتاب تأليف رجل واحد وانه أُلف فيما بين سنتي ١٤٧٥ و ١٥٢٥ للميلاد . ثم استأنف هذا البحث في هذا العصر طائفة من ثقات العلماء أشهرهم : گوچي ومولر ونولدكي واوستروب وكريمر وشوڤان وكارادڤو ، فاستجلوا على قدر إمكانهم ما غمض من أصل هذا الكتاب حتى أصبح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الممكن بعد تمحيص ما قالوه وتصحيح ماجهلوه أن نثبت في هذا الأصل رأياً يقارب الصواب ان لم يكنه .

[أصل الكتاب وطبقاته] — أصل هذا الكتاب نواة من الأقاصيص الهندية والفارسية تسمى هزارافسانه ترجم الى العربية من الفهلوية في أواخر القرن الثالث للهجرة بعنوان « الف ليلة » وهو الذي رآه المسعودي وانتقده ابن النديم . ثم تجمع حول هذه النواة في الازمنة الواقعة بين القرن الرابع والقرن العاشر من الهجرة طبقتان طبقة بغدادية صغيرة وطبقة مصرية كبيرة . فأما النواة أو الأصل او الاطار كما يسميه الباحثون فمؤلف من الحكايات الباقية الآتية : حكاية الملك شهريار وأخيه شاه زمان وهي مقدمة الكتاب وحكاية التاجر والجني ، وحكاية الصياد والجني ، وحكاية حسن البصري ، وحكاية الحصان الآبنوس ، وحكاية الامير باسم وجوهر السمندلية ، وحكاية أردشير وحياة النفوس ، وحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والأميرة بدور ، وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال .

وقد اختلفت كلمة الباحثين في أصل هذا الأصل كما ألمعنا الى ذلك من قبل ، ففريق يرى ورأيه الأرجح ان المقدمة وبعض حكايات الاصل هندية ويبني هذا الرأي على المشابهة في الموضوع والطريقة والأسلوب ، فأما المشابهة والموضوع فان في حكاية الملك شهريار واخيه مشابه من « كثاسارت ساجارا » الهندية . وأما المشابهة في الطريقة فان إدماج حكاية في حكاية وتوليد قصة من أخرى احدى خصائص الأدب القصصي الهندي وهي ملحوظة في قصة (مهابهاراته) و (بنجه تنتري) اصل كليلة ودمنة ، لان الباعث الاول على القص في أدب الهند كان ابناء الفرصة واكتساب الوقت حتى يؤفك المتهور عن عزمه ، ويحجز المتسرع عن وجهه ، كما فعل البيغاء مثلاً مع زوجة صاحبه في حكاية (سوكاسابتاتي) فقد كان يقص عليها كل يوم أحسن القصص ليعوقها بلهو الحديث عن زيارة خليلها في غيبة خليلها ويقطع حديثها دائماً بقوله : سأقص عليك البقية غداً اذا بقيت في البيت . وهذه الطريقة وذلك الباعث نجدهما في كثير من حكايات الف ليلة وليلة فلا نزاع إذن في انها هندية . وأما المشابهة في الأسلوب فان من لوازم القاص الهندي ان يقول : لا تفعل ذلك وإلا أصابك ما أصاب فلاناً فيسأله السامع وكيف ذلك فيجيب القاص على هذا السؤال برواية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القصة . وهذا الأسلوب نفسه مستعمل في تلك الحكايات من الف ليلة ، وقولهم فيها و كيف ذلك ؟ ترجمة حرفية لهذه الجملة السنسكريتية (كاثام إتات) ثم يمضي هذا الفريق في تطبيق نظريته على بعض الحكايات وينتهي الى ان هناك طائفة من الأقاصيص لاشك في انها فارسية وهي حكاية الحصان الآبنوس وحكاية حسن البصري وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال وحكاية قمر الزمان والاميرة بدور وحكاية بدر باسم والاميرة جوهر السمندلية وحكاية أردشير وحياة النفوس .

وفريق آخر يرى ان الأصل كله فارسي تأثر بالعقائد اليهودية والإغريقية والاسلامية ويريد أحدهم وهو الاستاذ گوچي ان يجعل بين هيكل الف ليلة وليلة وبين قصة استر اليهودية صلة ونسبة . ذلك لان ابن النديم في الفهرست يقول ان هزار افسانه أُلف لحميا بنت بهمن ، والطبري يقول ان استر هي زوج بهمن ، والمسعودي يجعل استر زوجة لبختنصر ويسميها دنيازاد ، ثم يطلق اسم شهرزاد ايضاً على أم حميا بنت بهمن اي على زوجة بهمن وهي التي سماها الطبري استر . ويقول المسعودي ايضاً في موضع آخر ان أم حميا يهودية ، ويعود الفردوسي والطبري والمسعودي فيطلقون اسم شهرزاد على حميا نفسها وهي بنت الملك بهمن وزوجه على عادة الفرس الاولين . أما وجه الشبه بين قصة استر المذكورة في التوراة وبين مقدمة الف ليلة فهو أن الملك أسربوس كان كالملك شهريار لا يرى المرأة الا ليلة واحدة ، فتزف اليه البكر مساءً ليطردها من قصره صباحاً دون ان يقتلها كما يفعل شهريار واستر كانت كشهرزاد تستهوي الملك وتخلب لبه فيستبقيها ، وهي بنت الوزير وشهرزاد بنت الوزير ، وهي تغرر بنفسها لتنقذ بنات جنسها من شر الفضيحة والذل ، وشهرزاد تفعل ذلك الفعل لتدرأ عن بنات قومها خطر السباء والقتل .

أما علة هذه الآراء المتناكرة التي تجعل هذا الاصل عربياً بحتاً اوفارسياً بحتاً اوهندياً مشوباً — فهي ان القصاص العرب قد عبثوا به عبثاً شديداً فبدلوا أسماءه وغيروا أسلوبه وموهوا لونه واخترعوا بعضه وطبعوه بطابع اسلامي محض ثم بعثروه في جوانب الكتاب وثنايا القصص حتى التاث على المقاييس الفنية فرزه وتحديده .

واما الطبقة البغدادية فتتألف من أقاصيص غرامية صغيرة انتزعت من حياة العرب واتسمت بسمة الاسلام وفاضت بنعيم الحب والترف . تمثل حياة الطبقة الوسطى باسلوب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥١

صحيح عذب وتصور حضارة بغداد في ايام العروس[1] بخيال قوي خصب ، وتشهدكم سورة الغني في الأسواق ، وضجة الغلمان في الافنية ، وقصف الجواري في المقاصير ، ومداعبة الزوارق اللاهية في دجلة ، وتجعل من الخليفة الرشيد ملاك رحمة ورسول عناية يجيء متنكراً وظاهراً في كل مكان بالثروة للمحروم والعدل للمظلوم والوصل للعاشق البائس . ولا أقصد بذلك الى أن كل حكاية يتدخل فيها الرشيد تكون بغدادية ، فان افتتان الناس بمجده ، وازدهار العراق في عهده ، جعلاه رمزاً للرخاء والعدل حتى في زمن غير زمنه ووطن غير وطنه .

تجمعت هذه الطبقة في مدى القرنين الرابع والخامس مما أثر عن الرواة ودوّن في الكتب مستقلاً وغير مستقل . فهي على ما أُرجح بقايا القصص التي نشرها الادباء البغداديون ثم طواها الزمن ، وقد عد ابن النديم في الفهرست عشرات منها كقصة علي بن اديم ومنهلة ، وقصة عمرو بن صالح وقصاف ، وقصة ابي العتاهية وعتب ، وقصة وضاح وأم البنين ، وقصة احمد بن قتيبة وبانوحة ، وقصة ريحانة وقرنفل وقصة سكينة و لرباب الخ ...

وأشهر حكايات هذه الطبقة حكاية علي بن بكار وشمس النهار ، وهي قصة شهيدين من شهداء الحب تشعر النفوس حرقة الأسى على جدهما العاثر ونهايتهما المحزنة ، وقد صيغت في أسلوب رقيق وعبارة مهذبة واشتملت على نوع من الأدب يكاد يخلو منه أدب الخاصة وهو الرسائل الغرامية التي تجري بين العاشقين اذا عز اللقاء وعيل الصبر . ثم حكاية أنس الوجود وورد الأكمام وهي تطعة حب وشعر وغزل . تجدون من فيها : اما محباً أو حبيباً أو واصلاً بينهما ، والشعر الذي تضمنته انما أُنشئ لها خاصة فهو مطابق لمقتضى أحوالها ، مشتمل على أسماء أبطالها ، وذلك قليل في سائر الكتاب كقوله من أبيات :

ما خاب من سماك أنس الوجود ... يا جامعاً ما بين أنس وجود

يا طلعة البدر الذي وجهه ... قد نوّر الدنيا وعم الوجود

ثم حكاية البنات الثلاث مع الحمال والصعاليك الثلاثة . ثم حكاية النائم اليقظان أو أبي الحسن الخليع . ثم حكاية بدور وجبير بن عمير الشيباني . ثم حكاية الرشيد مع الخليفة الثاني محمد بن علي الجوهري . ثم حكاية المعتضد مع ابي الحسن الخراساني وهي تدور

(١) ايام العروس اسم كان يطلقه البغداديون على عصر الرشيد . (المسعودي)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على السرف والترف والحب وتقص علينا مصرع المتوكل . ثم حكاية الشاب البغدادي مع جاريته . ثم حكاية الجواري الضرائر . ثم حكايات السندباد البحري وهي وصف جذاب شائق لسبع سفرات مخطرات في مياه الهند والصين قام بهن السندباد في عهد بلغت فيه بغداد والبصرة غاية لم تدرك يومئذ في العمران والعظمة .

ومما لاجدال فيه أنها كانت في الاصل رحلة حقيقية شوهها الناس بالمبالغة ، وزيفها القصاص بالافتعال والتزيد ، ولعل صاحبها هو الذي نحا بها هذا المنحى من الاغراب كما فعل بزرك بن شهريار في كتابه عجائب الهند . فلو صفيناها من سخف الأساطير وصرف الحديث كالسمكة العملاق التي يظنها الملاحون جزيرة ، وبيضة الرخ التي يحسبها الراؤن قبة إذن لتكشفت عن تفاصيل دقيقة تطابق ما كتبه الرحالون في هذا الموضوع كوصف جزر المهراجا أو المهرجان كما يسميه السندباد ، والبحث عن الماس بواسطة النسور في سيلان ، وماذكر عن الفيل والكركدن وشجر الكافور وتجارة القرنفل الخ ...

وأصدق ما في حكايات السندباد تصويرها لنفسية الرحالة الذي يشغف قلبه حب الأسفار ومصارعة الأخطار وجهاً لوجه ، فهو في كل سفرة يخوض غمرات الهول ويكابد غصص الغرق ويأخذ على نفسه الموثق الغليظ الا يزمع رحلةً بعد هذه المرة . فاذا ماعاد سالماً غانماً الى ديار ، ونعم حيناً بالعيش الرخي بين ندماه وسماره ، عاده الوله الشديد الى البحر الغادر ، ونازعته نفسه الطلعة الى الأفق البعيد ، فيجتوي الراحة ، ويعاف النعيم ، ويبتاع البضائع ، ويكتري السفينة ، ثم يقلع من البصرة !!

واما الطبقة المصرية فهي أوسع الطبقات وأجمعها وأصلحها للبحث وأصدقها في اللهجة وأقلها في البلاغة . تألفت في مدى خمسة قرون بين القرن الخامس والقرن العاشر من القصص العربية والتقاليد الاسلامية والسير اليهودية والاساطير الفرعونية . وقد قسمتها حين حللتها الى طبقتين قديمة تنتهي بالقرن الثامن وحديثة تنتهي بالقرن العاشر . فالطبقة القديمة حسنة الأسلوب مطردة السياق شريفة الغرض تدور على المغامرة والحرب ، وتعارض الأخلاق وتضارب العواطف ، وتعتمد على الطلاسم والأرصاد والجن والسحر والقدر كحكاية جودر التاجر وإخوته ، وحكاية الوزيرين نور الدين وشمس الدين ، وحكاية مسرور وزين المواصف ، وحكاية قمر الزمان الثانية ، وحكاية الخياط والأحدب ، وحكاية مزين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بغداد وهي قطعة فنية قوية رائعة ، ثم حكاية علي شار او بشار مع زمرد . والطبقة الحديثة على الجملة عامية اللغة ركيكة الأسلوب جريئة العبارة تدور تارة على حيل المحتالين ومكايد العيارين ومخاطر اللصوص ، وتارة على تصوير الأخلاق وتذكير النفوس الغافلة بالعبر . وظهور القصص المحتال الساخر بجانب القصص المتصوف الزاهد في هذه الطبقة — إنما اقتضته طبيعة المجتمع المصري يومئذ من التجاء فريق من الناس الى الله وانصراف فريق آخر الى الشيطان . وقد كان من الممكن ان تبدو هذه الظاهرة ايضاً في قصص بغداد لولا ان مغامرات اللهو والحب فيها قد غلبت في نفوس القصصيين على كل شيء وهم الى ذلك كتاب يتأبهون عن حياة العامة . فقد كان في بغداد على عهد الخليفة المعتضد بالله رجل اسمه العقاب وكنيته ابو الباز شهر بالكيد والحيلة حتى قال فيه المسعودي في الجزء الثاني من مروج الذهب ص٤٧٩ من طبعة مصر « أنه برز في مكائده وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم » ثم ذكر بعض حوادثه وهي غريبة .

وكان في بغداد كما كان في القاهرة نظام (التوابين) وهم اللصوص الذين اذا أتعدهم الكبير عن السرقة تابوا ورسمهم الخليفة شيوخاً لأصناف اللصوص فاذا حدثت حادثة عرفوا فعل من هي . ذكر ذلك المسعودي ايضاً في ص٤٧٣ من الجزء نفسه وكانت بغداد والقاهرة تتبادلان هذا الصنف من الزعماء والشيوخ كما يقصه علينا الف ليلة وليلة .

تأثر القصاصون المصريون في حكايات الحيل إذن بطبيعة العمران فضلاً عن تأثرهم بما بقي مذكوراً على بعض الألسنة من أساطير العهود الفرعونية ، فان قصة علي بابا واللصوص الاربعين مثلاً تشبه قصة وردت في (كتاب الأقاصيص الشعبية في مصر القديمة) لكبير الأثريين الاستاذ (ماسبيرو) . ثم تأثروا في أقاصيص العبر والعظات بالاسرائيليات كحكاية مدينة النحاس وقصة حاسب كريم الدين وبلوقيا وجان شاه ، وذلك مادعا الاستاذ (فكتور شوفان) الى ان يقول ان القصص المصرية الاخيرة إنما وضعها يهودي مصري أسلم ، وذلك بالطبع وهم من الاستاذ لان علم العرب بالاسرائيليات منذ ظهر الاسلام لا يقل عن علم اليهود بها .

وأشهر أقاصيص هذه الطبقة حكاية علي بابا واللصوص الاربعين ، وحكاية علاء الدين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابي الشامات والمصباح العجيب ، وهي التي اقتبسوا منهـا لص بغداد للسينما ، ثم حكاية معروف الاسكاف ، وحكاية ابي قير وابي صير ، وقصة حاسب كريم الدين وملكة الحيات وقصة مدينة النحاس ، وحكايات احمد الدنف وحسن شومان وعلي الزيبق ودليلة المحتـالة وزينب النصابة ، وحكاية الملك النـاصر والولاة الثلاثة ، وحكاية الرجل الصعيدي وامرأته الافرنكية .

وفوق هذه الطبقات الثلاث أو الاربع تراكم في العصور الحديثة عدد من القصص الكبيرة والأقاصيص الصغيرة ليبلغ الكتاب الغاية التي حددها له اسمه . وفي هذه الزيادة تختلف النسخ اختلافاً شديداً . من تلك القصص طائفة حائلة اللون من أثر التقليد كقصة عجيب وغريب وسهيم الليل وهي من قصص البطولة والحرب تستعير وقائعها في العراق بين العرب والعجم أو بين دين الحنيفية والمجوسية ، وتستعير صورها من قصة عنترة وسيرة ابن ذي يزن ، ثم قصة عمر النعمان وأولاده وهي مضروبة على قالب أردشير وحياة النفوس ، ثم قصة تاج الملوك والاميرة دنيا وهي كسابقتها تقليد لقصة أردشير ، ثم حكاية جان شاه وهي تقليد سخيف لحكاية حسن البصري ، ثم حكاية وردخان والملك جليعاد وهي ملفقـة من أمثال كليلة ودمنة .

وطائفة أخرى يغلب فيهـا أثر التجديد كحكاية هكتار الحكيم ، وأقصوصة شول وشمول ، وحكاية الجارية تودد وهي حكاية ثقافية تعليمية كتبها فقيه مصري في العهد الأحدث على الرغم من وقوع الحادثة ببغداد ، وقيام المناظرة برياسة النظام المتكلم في مجلس الرشيد ، فان الجارية كانت تجيب السائل في الفقه على المذهب الشـافعي وتصرح بذلك ، وتذكر في التقويم الزراعي الشهور القبطية ككيهك وبرموده وبشنس ومسرى وأمشير ، ثم تقول في حضرة الرشيد : الويل ثم الويل لمصر والشام من جور السلطان . ومن الغريب ان الاستاذ اوستروب يقول في دائرة المعارف الاسلامية ان هذه القصة نشرت في اسبانيا بعنوان (لادون زلاتيودور) أو تودور . ويظن ان تودد تصحيف تودور . ولم يتح لي الاطلاع على هذه القصة لارى كيف تتفق مع قصة كل مافيها مناظرة في علوم الثقافة الاسلامية البحتة .

وهناك عدا ماذكرت مجموعة من أقاصيص الفرسان والاجواد ونوادر الاولياء والزهاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نقلت من العقد الفريد والمستطرف وعروس المجالس ومناقب الصالحين لم يقصد بها الا توسيع الكتاب .

[مؤلف الكتاب وزمن تأليفه وسبب تسميته] — ذهبت جهود الباحثين باطلاً في تحقيق هوية المؤلف ، لان هزارافسانه نقل الى العربية غفلاً لم يسم واضعه ، ثم غشيته الطبقتان البغدادية والمصرية على التدريج ، فكان كل قصاص يكتتب لنفسه ماسمع وجمع في عصره من ثمرات القرائح وقطرات الأقلام دون ان يسندها الى راوٍ او يعزوها الى مؤلف . ولماذا يفعل ذلك وهو يريد ان يحفظ ويقص لا أن يروي وينشر ! فلما هيأت الاحوال أسباب تدوينها في العهد الذي ذكرته قيض الله لها من ضم شتات الفتها ونسق نظام وحدتها ثم دونها على هذه الصورة . ولم يستطع ذلك الجندي المجهول ان يملي اسمه على الخلود ، إما لتواضع فيه حمله على إنكار ذاته ، وإما لتواطؤ من النكران والنسيان أمات اسمه بعد مماته ، ومن التوافق الغريب ان أسماء الكتّاب الذين وضعوا القصص الفرنسوية الكبيرة في العهد الذي دوّن فيه الف ليلة وليلة قد سحب النسيان عليها ذيله كذلك ، كأغاني رولان وقصص المائدة المستديرة وقصص الحكماء السبعة مثلاً .

وقد اختلف العلماء في أن يكون المؤلف واحداً أو جماعة ولست أرى لهذا الخلاف وجهاً فان الكتّاب تكون على اليقين من أعمال مستقلة ثم تما بالاتفاق على توالي الحقب ، فوضعه وتكوينه إذن عمل جمع ، وجمعه وتدوينه عمل فرد ، وتحليله الى الاعمال الفردية المتعاقبة أمر فوق القدرة ومن وراء الإمكان . أما التاريخ الذي قرّ فيه على هذا الوضع الأخير فهو النصف الاول من القرن العاشر من تاريخنا ، ومن الممكن ان نحصره منه في السنوات العشر الواقعة بين سنتي ٩٢٣ و٩٣٣ وهما توافقان سنتي ١٥١٧ و١٥٢٦ من التاريخ المسيحي . وقد حصره الاستاذ وليم لين الانجليزي بين سنتي ١٤٧٥ و١٥٣٥ للميلاد اي في مدى خمسين سنة فوافقناه في الغاية وخالفناه في البدء ، ولم نر هذا الرأي اعتباطاً من جهة ، ولا استنباطاً من النص الظنين من جهة أخرى ، وانما اعتمدنا في تحقيقه على دليل مادي وهو ان الاستاذ الفرنسي (جلان) قد أخذ ينشر ترجمة الكتاب لبلاط الملك لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٤ وقد نقله عن نسخة عربية مخطوطة في ثلاثة مجلدات أرسلت اليه من سورية بعد سنة ١٧٠٠ وهي مكتوبة بمصر غفلاً من التاريخ ، ولكن الذي نقلها الى الشام وهو من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طرابلس كتب عليها بخطه انه امتلكها سنة ٩٤٣ للهجرة ثم انتقلت من يده الى يد آخر من حلب فكتب عليها ايضاً تاريخ هذا الانتقال وهو سنة ١٠٠١ فيكون تأليف الكتاب إذن قد تم قبل سنة ٩٤٣ بزمن نقدره كما قدره (لين) بعشر سنين .

هذا من جهة الطرف الاعلى اما من جهة الطرف الادنى فانا نجد ذكر القهوة المعروفة يتردد في بعض الحكايات كحكاية ابي صير وابي قير وحكاية علي نور الدين ومريم الزنارية مثلاً وذلك لا يكون قبل العقد الاول من القرن العاشر لان القهوة لم تنتشر في الشرق الا في هذه المدة ، ثم نجد لفظ الباب العالي وبعض النظم العثمانية تذكر من حكايات أخرى كحكاية معروف الاسكاف وهي مصرية قطعاً والعثمانيون لم يستولوا على مصر قبل سنة ٩٢٣ فيكون الكتاب إذن قد دوّن بعد هذه السنة وقبل سنة ٩٣٣ .

ذلك تحقيق الزمن الذي صنف فيه الكتاب جملة ، اما تحديد التاريخ لكل حكاية وكل طبقة فذلك عمل ان تيسر في حكاية تعذر في أخرى ، وبعض الباحثين قد حاول ذلك في شيء من التوفيق كالاستاذ وليم بوير الامريكي فانه نشر سنة ١٩٢٤ بحثاً في ٤٤ صفحة من المجلة الاسيوية جزم فيه بان حكاية الوزيرين شمس الدين ونور الدين قد كتبت بعد حكم الظاهر بيبرس أي بعد سنة ٦٧٦ ويرجح انها كتبت سنة ٧٠٦ وان قصة الخياط والاحدب بما تشتمل عليه من الحكايات الاخرى كمزين بغداد قد أُلفت سنة ٨١٩ للهجرة والدخول في هذا الموضوع يخرج بنا الى التفصيل الذي يمك في الروح ويخمد نشاط الحديث .

سمى العرب هزار افسانه الف ليلة ولو أرادوا الترجمة الامينة لقالوا الف خرافة أو أسطورة ، فعدولهم عن العنوان الصحيح يدلنا على أحد أمرين : إما ان الليلة كانت في اصطلاحهم ترادف الاسطورة باعتبارها زمناً لها وذلك ما نستطيع استنباطه من قول محمد ابن اسحق الوراق : « ابتدأ ابو عبدالله الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يتعلق بغيره وأحضر المسامرين فأخذ منهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما يحلى بنفسه .. فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه الف سمر ... » وإما ان يكون عدد الالف في الاصل انما أُريد به التكثير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا التحديد على حد قوله تعالى : « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وأحر به ان يكون كذلك فان ابن النديم قد رآه بتمامه مراراً وقال ان فيه دون المائتي سمر وهو اليوم بطبقاته وزياداته واستطراداته لا يتجاوز ٢٦٤ حكاية قسمها المؤلف على الف ليلة وليلة تقسيماً فيه عبث الهزل أو سخف الصناعة فان شهرزاد يدر كها الصباح دائماً ولما يمض على حديثها غير بضع دقائق على انه لم يبق مما رآه ابن النديم الا تلك الحكايات التي سردناها عندما تحدثنا عن الأصل .

إما زيادة الليلة على الالف فمن عمل القرن السادس لان النسخة التي رآها القرطي بمصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي كانت تحمل اسم الف ليلة وليلة . ويقول (جلدمستر) في تعليل زيادة الليلة ان العرب يطيرون بالأعداد الزوجية وهو زعم غريب ما رأيت في تاريخنا ولا في أدبنا ما يؤيده . ولقد ظل الكتاب اكثر من قرنين يسمى الف ليلة وكان الجهشياري يريد أن يسمي كتابه الف سمر وعندنا الفية ابن معطي والفية ابن مالك ، وأغرب من هذا الزعم ان يؤيده اوستروب في دائرة المعارف ويزيد عليه ان ميل الناس في تلك العصور الى التسجيع في عناوين الكتب كان من البواعث ايضاً على هذه التسمية ! وليس في قولنا الف ليلة وليلة كما تعلمون تسجيع ولا مزاوجة . والغالب في رأيي أن الليلة انما زيدت فوق الالف لافادة الكمال كطفحة الإناء ورجحة الميزان ، لان الالف عدد تام بالنسبة الى هذا الكتاب فاذا زيد عليه الواحد كان كاملاً . والكمال درجة فوق التمام ، وان في لغة التخاطب ما يشبه ذلك فقد يقال في المن قضيت لك الف حاجة وحاجة وفي المبالغة زرتك الف مرة ومرة وهلم جرّا .

« للبحث صلة »

احمد حسن الزيات
عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

— ٢ —

« من المحاضرة الثانية »

طريقة الكتاب وأسلوبه ٠ — كانت طريقة العرب في القصص ان يسردوا الاسمار والاحاديث على نمط يجعل كل حكاية قائمة بذاتها لا يربطها بما يسبقها ولا بما يلحقها علاقة ٠ وترون ذلك واضحاً في أمثال لقمان و كتب النوادر فلما نقلت الأقاصيص الهندية الى العربية في القرن الثالث عن طريق الفارسية ادخلت في ادبنا القصصي طريقة طريفة تجعل الحكايات سلسلة متماسكة الحلقات متعاقبة الخطوات متتابعة النسق ، وذلك على ضربين : الأول ان تتعلق جميع الحكايات بحكاية أصلية تكون فاتحة لبدايتها وسبباً لروايتها ابتغاء التعويق عن فعل ما لا يحل ، وذلك في العربية مذهب كتاب الوزراء السبعة و كتاب كليلة ودمنة واغلب كتاب الف ليلة وليلة ، وهو في الفارسية مذهب بختيارنامه وقصة جهار درويش وقصة نوروز شاه و كتاب طوطي نامه وانوار سهيلي مثلاً ٠ والضرب الثاني ان تروى الحكايات موزعة في الكتاب على عدة ابواب بحيث تكون الحكاية في أي باب من هذه الأبواب مقدمة لحكاية الباب الذي يليه ٠ ومن هذا الضرب في أدبنا كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ ، و كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لاحمد بن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤ ، وفي ادب الفرس كتاب مرزبان نامه لمرزبان بن رستم بن شروين ، وقد ترجمه ابن عربشاه واستمد منه ، ذلك فضلاً عن الطريقة الفارسية التي احتذيناها في الاقاصيص الغرامية المطولة ٠ فالف ليلة وليلة إذن يجري على ثلاث طرق : يجري على الطريقة الهندية في الحكايات المتداخلة المتسلسلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كحكايات الأصل وحكاية البنات الثلاث والصعاليك الثلاثة وحكاية الخياط والاحدب والطبيب وحكاية جان شاه وحكاية وردخان ... الخ

ويجري على الطريقة الفارسية في الحكايات المفردة المجردة كحكايات العشاق في بعض اقاصيص الأصل وما جرى مجراها من حكايات الطبقة البغدادية فانها مضروبة على قالب القصص الفارسي في الاعتماد على الحب الوهمي الذي يصيب ظرفاء الشباب على اثر طيف يزور في الكرى ، او صورة تعرض في الطريق ، او حكاية تلقى في المجلس . ثم يجري على الطريقة العربية الخالصة في الاقاصيص الصغيرة المقتبسة من كتب الأدب كحكاية حاتم الطائي وحكاية معن بن زائدة وحكاية ابراهيم بن المهدي وحكاية خالد بن عبدالله القسري مثلاً ، اما أسلوبه فيختلف باختلاف الزمان والمكان والجنس والشخص ، فاذا حكمنا عليه فانما نحكم على جملته لا تفصيله ، ونتوخى الصفات العامة في نقده وتحليله ، فهو في عمومه أسلوب سهل المأخذ مطرد السياق ، سوقي اللفظ مبسوط العبارة كثير الفضول كثير التضمين جريء الاشارة لا يعرف الكناية ولا يقنى الحياء ولا يصطنع التحفظ ، لأن سبيله سبيل العامة فهو يساير هم في ثرثرتهم وفضولهم وسذاجتهم وصراحتهم وبلادتهم ولا يستطيع ان يكون الا كذلك . يسير سير الأعرج المفلوج وراء المذهبين الكتابيين اللذين راجا على التعاقب في عهده وهما مذهب ابن العميد في العراق ومذهب القاضي الفاضل في مصر . فهو يسرف في السجع ويكثر من اقتباس الأمثال وتضمين الملح ، ويتظرف أحياناً بذكر مصطلحات النحو على سبيل التشبيه أو التورية كقوله في قصة قمر الزمان الثانية : « باتا على ضم وعناق ، وإعمال حرف الجر باتفاق ، واتصال الصلة بالموصول ، وزوجها كتنوين الإضافة معزول » وهو يغالي في تضمين الابيات في خلال الحكايات ويمعن في ذلك غالباً حتى يمل . وترصيع النثر بالشعر اسلوب لا يألفه الأدب العربي ولا الأدب الفارسي ، وانما هو ميزة من مزايا الأدب الهندي ايضاً .. اقتبسه الفرس ثم نقله كتابهم الينا في منتصف العصر العباسي وروّجه في عهد بني بويه مؤلفو القصص ومنشئو الرسائل والمقامات كابن العميد والصاحب والبديع والخوارزمي ومن ترسم خطاهم أو سار على هداهم . وموضع هذه الاشعار يكون عادة في مواقف السرور والحزن والوصف وثوران العواطف . ولكن القصاص يسيء في الغالب استعمال التضمين فيخطيء مواضع الاشعار ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

او يجهل محل المناسبة ، أو يردد الابيات نفسها في كل موقف . وقد تدفعه السماجة الى الاستطراد الغث فيقول :

وقال الشاعر ايضاً في المعنى ثم يورد ابياتاً لا يصلها بالموضوع سبب كما فعل في مقدمة علي نورالدين ومريم الزنارية مثلا فانه حين وصف البستان لم يترك نوعاً من انواع الفاكهة الا ذكره وروى ما قيل فيه من الشعر حتى استغرق في ذلك خمس صفحات من الكتاب !

ان خير ما يمتاز به اسلوب الف ليلة وليلة هو الوضوح والصدق والصراحة والجاذبية ، فالمعاني تسبق الالفاظ الى الذهن ، والصور تسبق الوصف الى الخاطر ، والشوق يبعث اللذة ويثير الاهتمام ويحرك الانتباه ويربط السامع او القارىء بموضوع القصة . على ان القصاص يعالج التصوير والحوار بدقة وبراعة في كل مايتصل بأحوال الشعب واخلاق العامة ، فاذا سما الى مقام الملوك والخاصة خانته قدرته وغلبت عليه بيئته وطبيعته ، فيفقد ما يسمى في الفن الكتابي بالصبغة المحلية وهي ان يسند الى الشخص مايلائم طبيعته وطبقته وبيئته من قول أو فعل . فالأقاصيص الهندية والفارسية تشوبها روح القصاص الاسلامية كحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والحكايات البغدادية تظهر فيها اللهجة المصرية كحكاية ابي الحسن الخليع ، ثم نراه يجري علي لسان الخليفة الرشيد ما يأبى عليه جلاله وكماله ان يقوله ويجعله يفعل مالا يجوز في العقل ان يفعله ، كأن ينادي وزيره جعفراً بقوله : يا كلب الوزراء ويكلفه في قصة الفتاة المقطعة بالعثور على القاتل في مدى ثلاثة ايام والا شنقه هو واربعين من بني برمك . وكأن يخلع في حكاية علي نورالدين مع انيس الجليس حلة الملك ليرتدي مرقعة بالية قذرة لكريم الصياد فيفيض قملها على اطرافه ، ويسيل قذرها على منكبه وأعطافه ، ولو أن ما كلف به الرشيد من التعب المزري كان لضرورة ملجئة لوجدنا له مساغاً من الفن ولكنه جشمه ما جشمه ليتسنى للخليفة ان يسمع غناء انيس الجليس وهي في قصر من قصوره وفي ضيافة خادم من خدمه ! فهو يدخله في هذا الزي الزري على الحبيبين والبستاني ليقدم اليهم ما معه من السمك فيكلفوه شيه في المطبخ فيشويه ! !

وكثيراً ما تدفع القصاص شهوة الإغراب الى تجاوز المبالغة المعقولة فتفوته من الفن صفة الامكانية وهي ان يلبس القصصي الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة فيقرب مابينها من الظروف ويمهد لها اسباب الوقوع حتى لاتتنافر مع العقل والعلم والعرف والتقاليد . والامثلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على هذا العيب مستفيضة في كل قصة . وفي الكتاب طائفة من الحكايات قد استوفت شروط الفن القصصي كلها كقصة الصياد والجني وقصة مزين بغداد ومقدمة حكايات السندباد وقصة علي بن بكار وشمس النهار .

هذا اذا نظرنا الى الاسلوب في جملته وعمومه ، اما اذا تتبعناه باللمح الخاطف في نواحي الكتاب وجدناه فيما بقي من الاقاصيص الهندية والفارسية وما جرى مجراها من الحكايات المحدثة المقلدة بين السذاجة أبله الاشارة لأنها من نوع الخوارق التي تدخل على القلوب الغريرة ، ولا تظفر الا بتصديق العقل البسيط ، فهو جارٍ مع طبيعتها متفق اللون مع صورتها ، وفي الطبقة البغدادية تراه متين العبارة عفيف اللفظ حسن السبك دقيق الوصف كثير السجع تميل الفضول لأنه في الغالب مكتوب يحذى على المثل العليا من قصص الفرس وتاريخ العرب ، وقد يسف في بعض الاناصيص اسفافاً قبيحاً فيثقل بسخفه على الطبع ويعتدي بضعفه على الذوق ، كما نراه في قصة الخليفة مع النائم اليقظان مثلا ، اما الاسلوب في الطبقة المصرية فهو في قسمها الأول وخاصة الاقاصيص المكتوبة منه اشبه شيء باسلوب الطبقة البغدادية مع اتساع في السجع وجرأة على الحشمة ، والغالب عليه التقليد فتارةً يجري على منهاج الطريقة الهندية كما نرى في حكاية وردخان والملك جليعاد وتارةً ينسج على منوال الطريقة الفارسية كفعله في قصة قمر الزمان الثانية وحكاية مسرور وزين المواصف وقد يجري في مجراه الخاص من التهكم الساخر والمزاح المضحك فيكون رقيقاً كما نراه في قصة الأحدب وخاصة في مزين بغداد ، ولكنه في القسم الثاني في سائر القصص الإلقائية التي الفها القصاص ليلقوها في السوامر مهلهل النسج عامي اللفظ مرزول المبالغة سيء التلفيق شديد الوطأة على الحياء والمروءة لصدوره عن قصاصين محترفين جهلاء يتملقون فيه شهوات العامة بالاخماش ، ويستفزون فضول الجمهور بالمبالغة ثم يكثر فيه ترداد الجمل المحفوظة الملتزمة فيقال دائماً في وصف الثمينة العازفة : (فعملت على العود من غرائب الموجود الى ان طرب الحجر الجلمود وصاح العود في الحضرة ياداود) وفي ايثار البعد : « بعدك عن الحبيب اجمل وأحسن . عين لا تنظر وقلب لا يحزن » وفي غرابة الحادثة « لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن يعتبر » وفي وصف الشيخ الفاني « قد ابقى ما ابقى وعركه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدهر فما استبقى ، كأنه مُفْنىً مُلْقى ، في خِرَقٍ زُرْقا ، تَمُرُّ بها الارياح غرباً وشرقا ، كما قال فيه الشاعر :

أرعشني الدهر اي رعش والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت امشي ولست اعيا واليوم اعيا ولست أمشي

وفي وصفه ساحة الحرب ومجالس الأنس ورياض الأرض وأثاث البيت لا يكاد يغير شيئاً من الاسجاع والاوضاع ومقطوعات الشعر .

ذلك ياسادتي ما استطعت استشفافه من صور الاساليب الاثرية في الكتاب وسترون حين تعيدون قراءته أن القصاص والمصنفين والمصححين في مصر قد اخضعوه اخضاعاً شديداً للهجاتهم واساليبهم وأمثالهم حتى جعلوا البحث اللغوي الفني من البعد بحيث لاتبلغ اليه وسيلة .

فلسفته ومراميه .— سيداتي وسادتي إن من يطلب من الف ليلة وليلة فلسفة خاصة وفكرة عامة ووجهة مشتركة كان كمن يطلب من كافة الناس عقيدة واحدة وطبيعة ثابتة واغراضاً متفقة ، فهو كما قلنا من قبل كتاب شعبي يصور الحياة الدنيا كما هي لا كما ينبغي ان تكون ، فاذا رأينا مذاهبه تتناقض ومراميه تتعارض وآراءه تختلف ، فذلك لأن المجتمع الذي يصوره كذلك .

ولم يكن الكتاب نتاج قريحة معلومة ولا نتيجة خطة مرسومة حتى نتلمس في جوانبه الدوافع والنوازع والغاية ان هو الا صدى يتردد خافتاً لعقائد الشرق القديم وعقلياته وعاداته ففي الفلسفة نراه يتأثر بالأفلاطونية الحديثة والأخلاق الاسلامية فيدعو الى القناعة باليسير والعزوف عن الدنيا والاعتدال في اللذة والمبالغة في الحذر والتفويض المطلق للقدر ، فروحه من هذه الجهة تتنافر مع صوره البراقة ووسائله الطماحة وحوادثه المغامرة ، ثم نراه في اقاصيص اخرى ولا سيما الحديثة يزين الأنانية ، ويرتضي القسوة ، ويتشوف الى المكاسب الدنيئة ، ويشره الى اللذة الخسيسة ولا يكاد يعتقد بالعواطف الكريمة . . وقد يصور المتاع الحسي واللهو الجموح بما لا يتمثل في الذهن الا على سبيل الخيال كالذي يحكيه عن فتى من ابناء الملوك رسا الى جزيرة كل من فيها من تجار وصناع نساء كأنهن اللؤلؤ المكنون فقضى بينهن في هذا النعيم اياماً اقل ما أصاب فيها من اللذة انه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان يلقي الشبكة في الماء على سبيل اللهو فتخرج اليه من الاصداف خريدة من بنات الجان كأنها حورية من حور الجنان الخ . . فاذا اختبرناه في السياسة والاجتماع رأيناه ملكيًا يقيم في كل مدينة عرشًا وينصب على كل مجمع من الاحياء ملكًا حتى الحيات والحشرات والطيور والوحوش والقردة ، ديمقراطيًا يشرك الملك والصعلوك في متع الحياة ومجالي الانس عائليًا يبني نظام البيت وتأثيل المجد على الزوجة والولد . لذلك تجدونه يستهل معظم اقاصيصه بحنين الوالدين الى النسل ، وفزعهما الى الله أو الى المنجم من داء العقم . وقد يسمو مغزاه الى الفلسفة الاجتماعية العالية ، مثال ذلك حكاية السندباد والحمال . فالحمال يؤوده الحمل الفادح ، وينهكه الحر اللافح ، فيلقي حمله على مصطبة امام بيت من بيوت التجار يترددا اليه النسيم الرطيب ، وتفوح منه روائح العطر والطيب ، ثم يرى عظمة ذلك التاجر في كثرة خدمه وغلمانه ، ويسمع تغريد البلابل والفواخت في بستانه . ويصغي الى رنين أوتاره وغناء قيانه ، وينشق أفاويه الطعام الشهي من صحافه والوانه ، فيرفع طرفه الحائر الى السماء ويقول سبحانك يارب لااعتراض على حكمك ولا معقب لأمرك ! أين حالي من حال هذا التاجر ؟؟

انا مثله وهو مثلي ، ولكن حمله غير حملي ! !

على أن أسوأ ماسجله الف ليلة وليلة من ظلم الانسان وجور النظم هو القسوة الجائرة على المرأة ، فان حظها منه منكود وصورتها فيه بشعة ، وكيف ننتظر من كتاب بني على خيانة المرأة ان ينصف المرأة ؟ ان شهرزاد المسكينة انما تسهر جفنها وتكد ذهنها لتقص على الملك شهريار أعجب القصص ابتغاء الحظوة لديه حتى تدرأ القتل عن نفسها والخطر عن بنات جنسها ، ومن الخطل الأليم ان يسند القصاص كل هذه النقائص الى النساء على لسان واحدة منهن في مقام الدفاع عنهن ، وان يجري على فمها في حضرة الملك تلك الكلمات الجريئة المخزية في وصف بهيمية الرجل ! !

الف ليلة وليلة يصور لنا المرأة في القسم الهندي الفارسي خطالة خائنة تبيع عرض الملك للعبد في قصة شهريار وأخيه ، لجوجة جموحة أنانية في قصة الحمار والثور تصر على ان يبوح لها زوجها بسره ، وهي تعلم ان في افشائه ضياع عمره ، حاقدة كائدة منتقمة في قصة الوزراء السبعة ، قاسية عاتية مرهوبة في حكاية قمر الزمان الاولى ، وهي في بغداد سجينة في قصرها ، مغلوبة على أمرها قد انتبذها زوجها وألقى زمامه في أيدي الجواري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والقيان ، وعلى كلتا الحالتين من حرية ورق تراها وسيلة لذة وغرض شهوة وأداة خدمة ، أما هي في مصر والشام فوجودها عدم ، لا تسمع لها صوتاً في بيت ولا ترى لها أثراً في سوق ، فاذا خرجت من ظلام الستار الى ضوء النهار كانت طاغية جاهلة كزوجة معروف الاسكاف ، أولصة حيالة كدليلة وبنتها زينت ، أوقوادة مرتادة كأُولئك العجائز اللاتي ينقلن الفتنة من مكان الى مكان ويصلن المنكر بين فلانة وفلان .

اما تصوير الكتاب لمظاهر الاجتماع الشرقي في القرون الوسيطة من العادات والاخلاق والمراسم في السواهر والولائم والأعراس والمآتم والأسواق والمحاكم فقد بلغ الغاية من ذلك كله ، الا ان الطبقة المصرية في هذا الباب كما قلنا أصدق وأجمع لان القصاص وهم مصريون تكلموا عن علم ووصفوا عن رؤية ونقلوا عن سماع ، فاذا قرأتم مثلاً حكاية نورالدين وشمس الدين وجدتم المصريين كانوا في حفلة العقد يطلقون البخور ويشربون السكَّر وينضحون الوجوه بماء الورد ، وفي زفاف العروس ينقطون المواشط والقيان بالقاء النقود في الدف اوالأطار كما يسميه الف ليلة أوالطار كما يسمى الآن في مصر ، وفي جلوتها على المنصة يجلسونها بين صفين من كرائم السيدات في يد كل منهن شمعة موقدة ، ثم يلبسونها حلة بعد حلة في فترة بعد فترة حتى يخلع عليها سبع حلل ، ومع كل سيدة من المدعوات الى الحفل صرة من الثياب المعدة لذلك الزفاف يحملها خادم ، فكلما خلعت العروس حلة خلع المدعوات كذلك حلة الى تمام السبع ، ولا تزال هذه العادات باقية في بعض البلاد وببعض الأُسر في مصر .

واذا قرأتم حكاية علاء الدين ابي الشامات وجدتموهم كانوا يستعملون الحشيش قوة للزوج ويتخذون المحلل خلاصاً من الطلقة الثالثة وهما خلتان شائعتان اليوم في الطبقة الدنيا اقرأوا حكاية معروف الاسكاف تجدوه مثالاً صادقاً لبعض الناس هناك في ضعف الارادة وسلامة الصدر وحب الأُبهة وتبذير مافي الجيب اتكالاً على الغيب واهتضاماً للحق وتجدوا زوجه فاطمة العرة التي فرَّ من جبروتها وجفوتها وقسوتها وعنادها الى أقصى مجاهل الارض فتبعته لايزال لها شبه في الباقيات الطالحات بمصر من عهد الجهالة .

اما الطبقة البغدادية فقد عبث بها القصاص وشالوها بلهجاتهم وعاداتهم ولكنها مع ذلك حرية بثقة الباحث اذا استطاع تنقيتها من شوائب البهرج والدخيل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بقي علينا ان نعرف وجهة كتابنا في الدين ، وليس من العسير على القارئ العادي ان يتبين تلك الوجهة فان في كل صفحة من صفحاته دليلاً على انه مسلم صادق الايمان قوي العقيدة يأخذ تقاليد الدين صحيحة أو مشوبة مأخذ العامي الواثق المطمئن فلا يبحث ولا يستنبط ولا يطبق حتى في مقام الحكمة والموعظة لا يكاد يذكر حديثاً أو آية وانما يستند في ذلك الى مأثور الشعر ومنثور الحكم ، فسبيله في الدين إذن أن يدعو اليه ويهتف به ويتعصب له ، لذلك نراه لا يتحدث الا عن المسلمين ، ولا يتخذ أشخاصاً لقصصه حتى الاجنبية منها الا من المسلمين ، فاذا كان احد الجنة أو الناس غير مسلم واضطر الى الحديث عنه انتهى به الى الاسلام أو دبر له عقبى سيئة وذلك نادر ، كما فعل في حكاية مسرور المسيحي وزين المواصف وزوجها اليهوديين ، فالحبيب والحبيبة أسلما فورفت عليهما ظلال النعيم والحب وظل الزوج يهودياً فدفنه امرأته حياً ، والف ليلة وليلة بعد ذلك سني لا يكاد يعرف فرقة أخرى من فرق الاسلام حتى الشيعة وكان لهم علي عهده في مصر دولة الفاطميين ، وفي العراق نفوذ البويهيين لم يذكرهم الا في حكاية علاء الدين وهي مكتوبة بمصر على عهد المماليك ، ولقد دلّ حين تعرض لهم في هذه القصة على جهالة قبيحة أو دعاية سيئة فقد أشار في موضع منها الى ان الروافض كانوا يكتبون اسمي الشيخين على بواطن الأعقاب ، وقال في موضع ثان ان اهل بغداد كانوا يغلقون الأبواب خوفاً من الروافض ان يلقوا الكتب في دجلة ، وقال في موضع ثالث : ان الرشيد سأل الرجل الذي همّ باغتياله وهو يلعب الكرة والصولجان فنجاه أصلان بن علاء الدين : أما أنت مسلم ؟ فقال كلا وانما انا رافضي .

مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته — صنف المنقبون ماعثروا عليه من مخطوطات الف ليلة وليلة فكان ثلاث مجموعات مختلفة : مجموعة أسيوية ومجموعتين مصريتين ، فأما المجموعة الأسيوية وهي أقدمهن فلا تشتمل الا على القسم الاول من الكتاب واحدى نسخها مبتورة ، وأشهرها نسخة كلكوتا وهي تحتوي على مائتي ليلة وقد شرع بطبعها الشيخ اليمني في جزءين بمدينة كلكوتا سنة ١٨١٤ م وأتمها سنة ١٨١٨ م فكانت أول مخطوطة طبعت من هذا الكتاب في الشرق والغرب ثم نسخة (برسلو) وهي التي طبعها الاستاذ (هبكت) في اثني عشر جزءاً ، ظهر الجزء الاول في سنة ١٨٢٥ والأخير سنة ١٨٤٣ ، واما المجموعتان المصريتان فهما أحدث من الاولى وبين نسخهما اختلاف شديد في الأسلوب والترتيب والعدد والقصص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن هاتين المجموعتين نسخة كلكوتا الثانية التي جمعها وطبعها الاستاذ (ماك نوكتن) في أربعة مجلدات من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٢ ، ثم نسخة بولاق التي طبعتها الحكومة المصرية في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٨٣٥ في مجلدين وهي أكمل النسخ جميعاً وأصحها وعنها صدرت جميع الطبعات في مصر والشام وبومباي ، ونقلت جميع الترجمات الى جميع اللغات ماعدا ترجمة (جلان) : فأما الطبعات فكلهن سواسية في قبح الشكل وسوء النقل وقلة العناية لصدورهن عن أرباب المكاتب وأصحاب المطابع وهؤلاء يبتغون أوفر ربح في أيسر كلفة . على ان أديباً من الآباء اليسوعيين قد طبعه ببيروت طبعاً جميلاً في اربعة مجلدات بعد ان قص من قصصه واقتضب من جمله وهذب من عبارته ، ثم جاء منشئ الهلال فأربى عليه في الحذف والبتر والاختصار وطبعه بمصر في خمسة أجزاء صغار ، وهاتان الطبعتان ولا سيما الاولى أليق الطبعات باخلاق الفتى وحياء الفتاة ولكنهما لا تنقعان غلة الأديب الباحث .

واما الترجمات فأولها في الوجود ترجمة الاستاذ جلان وهي أنيقة الأسلوب رائعة السبك الا انها غير دقيقة ولا أمينة ولا وافية ، على ان لها اليد الطولى على الكتاب في التعريف به والتنويه باسمه والدلالة على فضله ، طبعت هذه الترجمة بباريس في اثني عشر مجلداً ابتداء من سنة ١٧٠٤ الى سنة ١٧١٧ . ونقلت عنها سنة ١٧٠٧ ترجمة انكليزية مختصرة في ستة مجلدات بعنوان الليالي العربية ، وأشهر الترجمات بعد ذلك في السعة والدقة والصدق ترجمة بورتن بالانجليزية وترجمة ماردروس بالفرنسية وترجمة هبكت بالالمانية .

* * *

ذلكم ياسادتي ما يتحمله المقام والوقت من تاريخ الف ليلة وليلة ، وانكم لترون من هذا الإجمال فعل القريحة العربية فيه ، ومظهر العقيدة الاسلامية في جميع نواحيه ، وطابع العقلية السامية في أخيلته ومراميه ، حتى أصبح الكتاب عنواناً عريضاً من عناوين آدابنا ، وشاهداً جديداً على الحيوية القاهرة والشخصية الآمرة في آبائنا ، والاّ فبماذا نفسر هذا ؟

لقد خلفوا اليهود على الدين فظهر عربياً رائعاً في رسالة محمد ، وخلفوا اليونان على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العلم فعاد عربياً ساطعاً في فلسفة ابن رشد ، وخلفوا الرومان علَى الحضارة فبهرت العالم بالعمران والعدل في عصر الرشيد ، وخلفوا الفرس على الأدب فأخضعوا السنتهم وأفئدتهم لأدب القرآن ، وخلفوا الهنود على القصص فأروهم روعة الخيال وقوة الإلهام في الف ليلة وليلة ، وخلفوا الامم العظمى على اكثر الارض فأوشكوا ان يعرّبوا العالم ! فليت شعري أتغيرت الصحراء ، أم فسدت الدماء ، أم ضويت الأنباء ، أم هي ربضة الأسد واستجمامة المتعب واستجماعة الواثب ، ثم استئناف الهجمة الاولى على الموقع الأول في الحياة .

لقد أعقتكم طويلاً وأتعبتكم كثيراً وكدت أخرج من المحاضرة الى الخطابة فعذراً ياسادتي وشكرا .

احمد حسن الزيات
عضو المجمع العلمي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net